

تفسير الثعالبي

اﻟﻌﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻟﻮ ﺩﻋﻴﺖ ﺇﻟﻰ ﺩﺭﺍﻉ ﺃﻭ ﻛﺭﺍﻉ ﻟﺄﺟﺒﺖ ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻫﻨﺎﻟﻚ ﺩﻋﺎ ﺯﻛﺮﻳﺎ ﺭﺑﻪ ﺍﻻﻳﻪ ﻫﻨﺎﻟﻚ ﻓﻲ ﻛﻼﻡ ﺍﻟﻌﺮﺏ ﺇﺷﺎﺭﺓ ﺇﻟﻰ ﻣﻜﺎﻥ ﺃﻭ ﺯﻣﺎﻥ ﻓﻴﻪ ﺑﻌﺪ ﻭﻣﻌﻨﻰ ﻫﺬﻩ ﺍﻻﻳﻪ ﺃﻥ ﻓﻲ ﺍﻟﻮﻗﺖ ﺍﻟﺬﻱ ﺭﺃﻯ ﺯﻛﺮﻳﺎ ﺭﺯﻕ ﺍﻟﻠﻪ ﻟﻤﺮﻳﻢ ﻭﻣﻜﺎﻧﺘﻬﺎ ﻣﻦ ﺍﻟﻠﻪ ﻭﻓﻜﺮ ﻓﻲ ﺃﻧﻬﺎ ﺟﺎﺀﺕ ﺃﻣﻬﺎ ﺑﻌﺪ ﺃﻥ ﺍﺳﺘﺖ ﻭﺃﻥ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺗﻘﺒﻠﻬﺎ ﻭﺟﻌﻠﻬﺎ ﻣﻦ ﺍﻟﺼﺎﻟﺤﺎﺕ ﺗﺤﺮﻙ ﺃﻣﻠﻪ ﻟﻄﻠﺐ ﺍﻟﻮﻟﺪ ﻭﻗﻮﻱ ﺭﺟﺎﺀﻩ ﻭﺫﻟﻚ ﻣﻨﻪ ﻋﻠﻰ ﺣﺎﻝ ﺳﻦ ﻭﻭﻫﻦ ﻋﻈﻢ ﻭﺍﺷﺘﻌﺎﻝ ﺷﻴﺐ ﻓﺪﻋﺎ ﺭﺑﻪ ﺃﻥ ﻳﻬﺐ ﻟﻪ ﺫﺭﻳﻪ ﻃﻴﺒﻪ ﻳﺮﺗﻪ ﻭﺍﻟﺫﺭﻳﻪ ﺍﺳﻢ ﺟﻨﺲ ﻳﻘﻊ ﻋﻠﻰ ﻭﺍﺣﺪ ﻓﺼﺎﻋﺪﺍ ﻛﻤﺎ ﺃﻥ ﺍﻟﻮﻟﺪ ﺍﺳﻢ ﺟﻨﺲ ﻛﺬﻟﻚ ﻭﻃﻴﺒﻪ ﻣﻌﻨﺎﻩ ﺳﻠﻴﻤﻪ ﻓﻲ ﺍﻟﺨﻠﻖ ﻭﺍﻟﺪﻳﻦ ﺗﻘﻴﻪ ﺗﻢ ﻗﺎﻝ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻓﻨﺎﺩﺗﻪ ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﻪ ﻭﺗﺮﻙ ﻣﺤﺬﻭﻑ ﻛﺜﻴﺮ ﺩﻟ ﻋﻠﻴﻪ ﻣﺎ ﺫﻛﺮ ﺗﻘﺪﻳﺮﻩ ﻓﻘﺒﻞ ﺍﻟﻠﻪ ﺩﻋﺎﺀﻩ ﻭﺑﻌﺚ ﺍﻟﻤﻠﻚ ﺃﻭ ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﻪ ﻓﻨﺎﺩﺗﻪ ﻭﺫﻛﺮ ﺟﻤﻬﻮﺭ ﺍﻟﻤﻔﺴﺮﻳﻦ ﺃﻥ ﺍﻟﻤﻨﺎﺩﻱ ﺇﻧﻤﺎ ﻫﻮ ﺟﺒﺮﻳﻞ ﻭﻗﺎﻝ ﻗﻮﻡ ﺑﻞ ﻧﺎﺩﺗﻪ ﻣﻼﺋﻜﻪ ﻛﺜﻴﺮﺓ ﺣﺴﺒﻤﺎ ﺗﻘﺘﻀﻴﻪ ﺍﻟﻔﺎﻁ ﺍﻻﻳﻪ ﻗﻠﺖ ﻭﻫﺬﺍ ﻫﻮ ﺍﻟﻈﺎﻫﺮ ﻭﻻ ﻳﻌﺪﻝ ﻋﻨﻪ ﺇﻻ ﺃﻥ ﻳﺼﺢ ﻓﻲ ﺫﻟﻚ ﺣﺪﻳﺚ ﻋﻨﻪ ﺻﻠﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻼﻡ ﻓﻴﺘﺒﻊ ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻓﻨﺎﺩﺗﻪ ﻋﺒﺎﺭﺓ ﺗﺴﺘﻌﻤﻞ ﻓﻲ ﺍﻟﺘﺒﺸﻴﺮ ﻭﻓﻲ ﻣﺎ ﻳﻨﺒﻐﻲ ﺃﻥ ﻳﺴﺮﻉ ﺑﻪ ﻭﻳﻨﻬﻲ ﺇﻟﻰ ﻧﻔﺲ ﺍﻟﺴﺎﻣﻊ ﻟﻴﺴﺮ ﺑﻪ ﻓﻠﻢ ﻳﻜﻦ ﻫﺬﺍ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﻪ ﺇﺧﺒﺎﺭﺍ ﻋﻠﻰ ﻋﺮﻑ ﺍﻟﻮﺣﻲ ﺑﻞ ﻧﺪﺍﺀ ﻛﻤﺎ ﻧﺎﺩﻯ ﺍﻟﺮﺟﻞ ﺍﻟﺄﻧﺼﺎﺭﻱ ﻛﻌﺐ ﺑﻦ ﻣﺎﻟﻚ ﻣﻦ ﺃﻋﻠﻰ ﺍﻟﺠﺒﻞ ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﻫﻮ ﻗﺎﺋﻢ ﻳﺼﻠﻲ ﻓﻲ ﺍﻟﻤﺤﺮﺍﺏ ﻳﻌﻨﻲ ﺑﺎﻟﻤﺤﺮﺍﺏ ﻓﻲ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﻤﻮﻭﻉ ﻣﻮﻗﻒ ﺍﻟﺌﻤﺎﻡ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﺴﺠﺪ ﻭﻳﺤﻲ ﺍﺳﻢ ﺳﻤﺎﺀ ﺍﻟﻠﻪ ﺑﻪ ﻗﺒﻞ ﺃﻥ ﻳﻮﻟﺪ ﻭﻣﺼﺪﻗﺎ ﻧﺼﺐ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺤﺎﻝ ﻗﺎﻝ ﺍﺑﻦ ﻋﺒﺎﺱ ﻭﻏﻴﺮﻩ ﺍﻟﻜﻠﻤﻪ ﻫﻨﺎ ﻳﺮﺍﺩ ﺑﻬﺎ ﻋﻴﺴﻰ ﺍﺑﻦ ﻣﺮﻳﻢ ﻗﺎﻝ ﻋ ﻭﺳﻤﻰ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻋﻴﺴﻰ ﻛﻠﻤﺔ ﺇﺫ ﺻﺪﺭ ﻋﻦ ﻛﻠﻤﺔ ﻣﻨﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﻫﻲ ﻛﻦ ﻻ ﺑﺴﺒﺐ ﺇﻧﺴﺎﻥ ﻭﻗﻮﻟﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺳﻴﺪﺍ ﻗﺎﻝ ﻗﺘﺎﺩﺓ ﺃﻱ ﻭﺍﻟﻠﻪ ﺳﻴﺪ ﻓﻲ ﺍﻟﺤﻠﻢ ﻭﺍﻟﻌﺒﺎﺩﺓ ﻭﺍﻟﻮﺭﻉ ﻗﺎﻝ ﻋ ﻣﻦ ﻓﺴﺮ ﺍﻟﺴﻮﺩﺩ ﺑﺎﻟﺤﻠﻢ ﻓﻘﺪ ﺃﺣﺰﺯ ﺃﻛﺜﺮ ﻣﻌﻨﻰ ﺍﻟﺴﻮﺩﺩ ﻭﻣﻦ ﺟﺮﺩ ﺗﻔﺴﻴﺮﻩ ﺑﺎﻟﻌﻠﻢ